الفصل الاول

الاحتلال البريطاني للعراق

اسباب الاحتلال البريطاني للعراق ومراحله

اكتسب العراق اهمية كبرى في السياسة البريطانية، منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي، في الربع الاول من القرن السابع عشر، وقد تنوعت المصالح البريطانية في العراق، فهناك المصالح الاقتصادية التي تركزت على شراء المواد الاولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول، وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال الاجنبي، وللتدليل على نمو المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق، نذكر تأسيس عدد من الشركات البريطانية امثال شركة لنج وشركة كري مكنزي وشركة اندروويز، وغيرها من الشركات البريطانية، التي لم يقتصر عملها على النشاط التجاري الصرف، بل كان وجودها يمثل تغلغلاً "استعمارياً" كانت له ابعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث تمكن رجالات هذه الشركات من الاتصال ببعض الشيوخ

والملاكين بالاضافة الى التجار والجماعات الاخرى المستفيدة، وراحوا عن طريق هؤلاء يهيئون الافكار لتقبل وجودهم [1].

اما اهمية العراق الاستراتيجية بالنسبة للسياسة البريطانية فتتمثل في موقع العراق على الخليج العربي الذي هو جزء من طريق الهند البري الحيوي لمواصلات الامبراطورية البريطانية، وقد اكدت هذه الاهمية بعثة جسني الاستطلاعية في عام 1834 لدراسة امكانيات نهر الفرات الملاحية، وماعقب ذلك من مجهودات بريطانية تناولت حقولاً متعددة كارسال بعثات التنقيب الاثرية وانشاء خطوط التلغراف، وتأسيس الشركات الملاحية.

وفي مطلع القرن العشرين بلغت اهمية العراق الستراتيجية درجة كبرى، نتيجة لاكتشاف النفط في عبادان، وكانت حماية حقول نفط عبادان، من جملة الاسباب التي تذرعت بها بريطانيا عند احتلال البصرة [2].

وقد دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيين الى اعتبار وادي الرافدين مجالاً "حيوياً" للنشاط السياسي والاقتصادي البريطاني، واوضح اللورد كيرزن هذه الاهمية مرة اخرى في عام 1911 حينما قال:

"من الخطأ ان نفترض ان مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، فانها ليست كذلك كما انها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة مابين البصرة وبغداد، وانما تمتد شمالاً الى بغداد نفسها" [3].

وتاكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، فقد شكلت حكومة الهند لجنة رباعية عام 1911 لتقوم بدراسة الاجراءات التي يجب ان تتخذها لحماية مصالحها في جهات العراق الجنوبية، وقد اوصت اللجنة في تقريرها (12 كانون الثاني 1912) باحتلال الفاو والبصرة [4].

وعلى الرغم من عدم الاخذ بمقترحات اللجنة في حينها لانها سابقة لاوانها الا ان القناصل الانكليز في بغداد والبصرة والموصل اخذوا باعداد المعلومات اللازمة عن الجيش العثماني: اعداده وتجهيزه وقدرته على التحرك، فضلا عن القيام بأحضار الخرائط اللازمة للاعمال العسكرية.

وعند اندلاع الحرب العالمية الاولى في آب 1914، وتعاطف الدولة العثمانية مع المانيا، بدأت بريطانيا تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على احتلالها للخليج العربي، ودعا الفريق الاول سير (ادمون بارو) Sir Ednund Barrow السكرتير العسكري لوزارة الهند الى توجيه قوة عسكرية الى المحمرة وعبادان، وعلل هذا الاقتراح بقوله:

"حيث مراكز النفط والتجهيزات، في عبادان وخط الانابيب من حقول النفط معرضة للتدمير المباشر. وان المصالح البريطانية في بغداد والبصرة ستزول من الوجود، وان شيخى المحمرة والكويت، ربما يهاجمان... وفي هذه الحالة سنبدد في الهواء كل مكانتنا وكل جهودنا لسنين وسيغدوا موقفنا في الخليج نفسه متقلقلاً" (5)

دفع هذا التقدير الحكومة البريطانية الى ارسال قوات عسكرية بريطانية الى الخليج العربي في (2 تشرين الاول 1914) وفي اليوم التالي اسندت قيادة القوات البريطانية الى العميد ديلامين Delamin.S.W واعطى لتلك القوات الرمز "D" وحدد اطار عملها بـ (احتلال عبادان وحماية مصافي النفط وخط الانابيب، وتغطية انزال المدادات اذا غدت هذه ضرورية، والظهور للعرب باننا نعتزم مساعدتهم ضد الاتراك) (6).

ويحدد وزير الهند هدفاً "اخراً" لارسال هذه القوات بقوله"كنت اعتبر على الدوام بان اهم ما نستهدفه من ارسال (القوات البريطانية) هو التأثير على الشيوخ

العرب، اما حماية منابع النفط فقد كانت شيئاً "ثانوياً" عندي من بين الامتيازات الاخرى" [7].

تغيرت وجهت القوات البريطانية، وتقرر ان يكون الانزال في البحرين بدلاً من عبادان او المحمرة، بانتظار تعليمات جديدة، وعين السير برسي كوكس ضابطاً "سياسياً" في الغزو المرتقب، وفي (5 تشرين الثاني 1914) انحازت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب، فصدرت التعليمات الى العميد ديلامين للتوجه نحو الفاو، وزود بالمعلومات اللازمة عن المنطقة كالتكوين الجغرافي والعشائري والقوات العثمانية في العراق عامة، والبصرة خاصة: تعداداً وتدريباً وتسليحاً وتوزيعاً، وكانت هذه التخمينات تقترب كثيراً من الواقع العسكري العثماني.

وفي عشية الغزو العسكري البريطاني اصدر السير برسي كوكس الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية بياناً زعم فيه ان حكومته قد اجبرت على الحرب نظراً للموقف المعادي للعثمانيين، لذا ارسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها واصدقائها، واجلاء... الاتراك من المنطقة، وان لاعداء لها مع العرب شريطة الا يحموا الجنود "الاتراك" ولا يحملوا السلاح في تجوالهم، واكد مهدداً على منع ذلك، كي يجرد السكان، من وسائل الدفاع عن انفسهم في ظرف غابت فيه السلطة المحلية الحامية، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي ان يتوغل بسهولة.

نزلت القوات البريطانية في الفاو في ساعة متأخرة من يوم (6تشرين الثاني) ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيون إلى الانسحاب، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مدخل شط العرب.

اما السلطات العثمانية في البصرة فلم يصل اليها خبر احتلال الفاو الا في اليوم التالي من المدنيين الذين غادروا المنطقة الى البصرة. فاستعدت

القوات العثمانية لتصد التقدم البريطاني باتجاه البصرة. الا ان حركة هذه القوات كانت غير نظامية ولا مدروسة بل مليئة بالاخطاء سواء في شكل التقدم او في التعبئة والتموين، ولم تقدم الاستخبارات العثمانية اية معلومات لقائد القوة عن الموقع البريطاني، ولم تكن لديه خريطة للمنطقة، وقصارى القول ان القيادة العثمانية اعتمدت على الارتجالية دون التخطيط والحسابات العسكرية الدقيقة.

اما الخطط العسكرية والامدادات البريطانية، فكانت مبنية على حسابات دقيقة وتقديرات جيدة منذ بداية تحرك القوات البريطانية من الهند، مكنت البريطانيين من دحر العثمانيين في معارك السنية وسيحان وكوت الزين وفتح الطريق امام هذه اقوات لاحتلال مدينة البصرة حيث انسحبت القوات العثمانية باتجاه القرنة، ودخلتها القوات البريطانية في يوم (22 تشرين الثاني). وفي اليوم التالي استعرضت القوات البريطانية في البصرة، ورفع العلم البريطاني على سطح احد المباني الرئيسية، واطلقت البحرية البريطانية مدافعها تحية له، واذاعت السلطة المحتلة خطاباً دعت فيه اهالي البصرة الى التعاون معها باعتبارها السلطة الوحيدة القائمة واقعياً، ووعد الخطاب بالحرية والعدالة.

قامت القوات البريطانية بعد احتلالها لمدينة البصرة، باقامة المعسكرات لسكنى قواتها وانزال معداتها العسكرية والقيام بدوريات للحراسة والبحث عن الاسلحة في القرى المحيطة بالبصرة، وتقرر مطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة والزبير، وقد اعطى الاحتلال القرنة اهمية كبيرة لموقعها العسكري ولصلاحية الملاحة الى الخليج وغنى المنطقة الزراعية واحاطتها باقليم الاحواز، فتقدمت القوات البريطانية واحتلت المدينة بعد استسلام القوات العثمانية في يوم (9 كانون الاول 1914).

وبدخول القرنة اصبح البريطانيون يسيطرون على ملتقى نهري دجلة والفرات والطريق الملاحي الى الخليج العربي [8].

لقد اوضحت الانتصارات البريطانية السريعة ضعف الاتراك وعدم استعداد القيادة العثمانية في العراق للوقوف بوجه الغزو البريطاني لهذا اعاد العثمانيون النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق، وعملوا على كسب تأييد العراقيين لهم عن طريق اعلان الجهاد المقدس الذي كان له اثره في توجيه الرأي العام المتأثر بالعواطف الدينية الى حمل السلاح بوجه البريطانيين وبلغ عدد المتطوعين بين (10-15) الف مقاتل، وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في الشعيبة قرب البصرة [9].

احتشدت القوات العثمانية بقيادة سليمان عسكري بك ومعها قوات المتطوعين وبدأت بمناوشة القوات البريطانية، وبدأ الهجوم الفاصل صباح يوم (12 نيسان 1915)، ولكنه كان هجوماً "فاقداً" لعنصر المباغتة، نظراً لما سبقته من شواهد دالة عليه فقام البريطانيون بهجوم مضاد اسفر عن انتصار كاسح للقوات البريطانية وابادة قسم كبير من القوات العثمانية، وتعتبر موقعة الشعيبة من المواقع الحاسمة في تاريخ عملية الاحتلال البريطاني للعراق، اذا فتتت معنويات القيادة العثمانية وخاصة عند انتحار القائد سليمان العسكري، كما اوجدت الشكوك بين الناس في امكانية صمود العثمانيين امام الغزو البريطاني، واعتبرت معركة الشعيبة مأساة تاريخية هامة بالنسبة للعثمانيين [10].

بعد هزيمة العثمانيين في القرنة والشعيبة تقهقرت قواتهم نحو العمارة والناصرية بيد ان القوات البريطانية لاحقتها،واتجهت قوة برية ومائية في دجلة الى العمارة فاحتلتها في (2 حزيران 1915)، كما احتلت قوة اخرى، اتجهت في الفرات، الناصرية في (25 تموز) بعد معارك دامية، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة

على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية، واصبحت ولاية البصرة كلها تقريباً، تحت الاحتلال البريطاني[11].

وقد شجع احتلال ولاية البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية، القادة العسكريين البريطانيين على طلب التقدم نحو بغداد، واوضح السير برسي كوكس، رئيس حكام الحملة السياسيين في برقية بعثها الى نائب الملك في الهند، بأنه لا يرى كيف يمكن ترك احتلال بغداد، وقد اخذت حكومة الهند على عاتقها تحقيق فكرة الزحف نحو بغداد بعد تعيين الجنرال جون نيكسون الى القيادة في ما بين النهرين في 9 نيسان 1915 وخولته بالزحف على بغداد، "اذا كان مقتنعاً بأن القوة المتوفرة لديه تكفي للقيام بالعمليات المطلوبة".

تقدمت الحملة البريطانية عن طريق دجلة بأتجاه بغداد، وكانت بقيادة الجنرال طاوزند TOWNSHEND، الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السابقة ضعف مقاومة الاتراك وان قواته لن تجد صعوبة في احتلال بغداد، اما العثمانيون فقد عمدوا الى تجميع قواتهم المندحرة، وشكلوا لجنة لتحصين مدينة بغداد للدفاع عنها. وحدثت اول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت في (27 ايلول 1915) استمرت نحو عشرين ساعة واشترك فيها الاسطولان النهريان البريطاني والعثماني، وانتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين الى خطوط دفاعية جديدة اقاموها قرب المدائن، بعد ان خسروا (17) الف قتيل وجريح و 1289 اسيراً، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستة اسابيع.

استعد العثمانيون بقيادة نور الدين لملاقاة البريطانيين قرب المدائن وحصلوا على امدادات عسكرية من الاناضول، كما وصل الى بغداد الجنرا الالماني فون در كولتز VON DER GOLTS لتنظيم الدفاعات العثمانية عن مدي

بغداد. وفي يوم (21 تشرين الثاني) هاجمت القوات البريطانية القوات العثمانية ودارت معركة ضارية بين الجانبين، وخلال المعركة عززت القوات العثمانية بفرقة جديدة بقيادة خليل بك الأمر الذي مكن العثمانيين من توجيه ضربة قوية اضطرت القوات البريطانية الى الانسحاب والتراجع نحو الكوت بعد ان تكبدت خسائر فادحة بلغت في يوم (22 تشرين الثاني) وحده (4511) قتيلاً [12].

استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن، وقامت بتعقب القوات البريطانية المتراجعة، وتمكنت من محاصرة البريطانيين في مدينة الكوت في (7 كانون الاول 1915) وقد استمر الحصار حوالي خمسة اشهر، ذاق فيها البريطانيون ويلات الحصار، فاكلوا لحوم الخيل وخلعوا ابواب وشبابيك البيوت لاستعمالها في الوقود. وقد حاول البريطانيون عدة مرات انقاذ جيشهم المحاصر دون جدوى، واجروا مفاوضات مع العثمانيين لرفع الحصار مع استعدادتهم لدفع مليون او مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوات العثمانية، لكنه امتنع عن قبول هذه الرشوة، واصر على التسليم دون قيد او شرط، فأضطر البريطانيون الى الاستسلام في يوم (29 نيسان 1916) بعد ان اتلفوا سلاحهم ومعداتهم وبلغ عدد القوات التي استسلمت (13500) جندي عدا الضباط وارسل هؤلاء اسرى الى الاناضول. ويصف موبرلي MOBERLY تسليم الكوت بانه كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه احتلال بغداد، وان خسائر البريطانيين منذ البداية حتى تسليم الكوت كانت كبيرة اذا بلغت (40) الفاً بين قتيل واسير، واخيراً فأن تسليم الكوت كانت ضربة قوية لسمعة البريطانيين [13].

لم يستثمر العثمانيون الهزيمة البريطانية في الكوت لمحاولة التقدم الى جنوب العراق واعادة احتلاله وطرد البريطانيين منه، وانما ارسلوا قواتهم الى ايران لمحاربة القوات الروسية، مما اضعف القوات العثمانية الموجودة في

العراق، ومكن البريطانيين من تعزيز قواتهم من جديد وخاصة بعد تولي الجنرال مود قيادة هذه القوات التي بدأت باستئناف الهجوم ضد العثمانيين منذ اوائل عام 1917، ودارت معارك هائلة بين الجانبين تضعضع فيها مركز العثمانيين الذين اضطروا الى الانسحاب من الكوت الى المدائن يوم (27شباط) وتحصنوا فيها،لكن البريطانيين استمروا في تقدمهم نحو المدائن مما دفع العثمانيين الى الانسحاب نحو نهر ديالى في (6اذار)، ثم انسحبوا من بغداد، فدخلها البريطانيون بقيادة الجنرال مود فجر يوم (11اذار 1917) [14].

كان لاحتلال بغداد من قبل البريطانيين اثاره السياسية والعسكرية والنفسية على الوجود العثماني في مناطق العراق الاخرى، وقد واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق فاحتلوا سامراء في (22 نيسان) والرمادي في (29 ايلول). وتكريت في (6 تشرين الثاني1917)، وبقى الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب الشرقاط، حتى اواخر تشرين الاول 1918، وكان على بعد 12 ميلاً من مدينة الموصل عند عقد الهدنة في (30 تشرين الاول 1918)، فطلب قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال، (وكان قد تولى قيادة هذه القوات بعد موت الجنرال مود بمرض الكوليرا في 19 تشرين الثاني 1917) من علي احسان باشا قائد القوات العثمانية في المدينة مغادرتها، وجرت مفاوضات بين الجانبين وافق فيها العثمانيين على الجلاء عن المدينة، ورفع العلم البريطاني عليها في (8 تشرين الثاني 1918). وهكذا انتهت الاعمال العسكرية بعد ان امتدت زهاء اربع سنوات، وخضع العراق للادارة البريطانية وقد كلف احتلال العراق البريطانيين خسائر فادحة قدرتها المصادر البريطانية، بحوالي مائة الف قتيل وجريح، هذا فضلاً عن الخسائر المادية الهائلة، لهذا يمكن القول ان العراق كان من الجبهات الاساسية التي استنزفت العدد الكبير من الرجال والمال الوفير[15].

الادارة البريطانية والمقاومة الشعبية للاحتلال

دفعت حاجات الحملة البريطانية، وضرورة ملء الفراغ الذي احدث انسحاب العثمانيين، السلطة البريطانية المحتلة الى نوع من الادارة، ويمكن الإشارة إلى الأسس التي قامت عليها بالامور الاتية:

1. العمل على تامين الحاجات التي يتطلبها الاحتلال، بالاستيلاء على بعض الاراضي والممتلكات، وتشغيل العراقيين بالاكراه لخدمة المجهود الحربي البريطاني.
2. التخطيط لجعل الجزء الجنوبي من العراق. مستعمرة هندية، تمهيداً لضمه للهند تحقيقاً للسياسة الاستعمارية الطامعة في جنوب العراق.
3. محاولة التقرب من العشائر، والاهتمام بإقامة العلاقات مع بعض رؤسائها والعمل على زيادة نفوذ هؤلاء الرؤوساء بمدهم بالمال، ومنحهم الاقطاعيات الكبيرة لضمان الولاء للسلطة المحتلة.
4. العمل على ايجاد نظام اداري تتركز فيه السلطات الاساسية في ايدي الحكام والسياسيين ومعاونيهم، وهم من الانكليز عادة، مع العمل على مشاركة العراقيين في الوظائف الثانوية.
5. وضع نظام قضائي جديد يهدف الى استبدال القوانين العثمانية بقوانين هندية في الشؤون المدنية والتجارية والعقابية، وفي المسائل المادية والاصولية وكيفية تشكيل المحاكم فضلاً عن تشريع نظام دعاوى العشائر المدنية.

6. العمل على وضع نظام مالي يساعد في توفير الاموال اللازمة لمتطلبات جيش الاحتلال [16].

وقد ظهر واضحاً من تطبيق الادارة البريطانية ان الهدف يقضي باحتلال البلاد نهائياً، والعمل على ايجاد الصيغ لربطه بالادارة الهندية او اعطائه نوعاً من الحكم الذاتي، وقد اشتطت الادارة البريطانية في معاملة السكان، فكانت حاجات الشعب تعد شيئاً ثانوياً بالنسبة لحاجات القوات المحتلة، وكانت الجماهير تعاني من فرض القيود على حرياتها الشخصية، وتشغيل اعداد كبيرة من العمال لخدمة الجيش المحتل وبوجه عام يمكن القول بان موقف الجيش البريطاني كان عدائياً صريحاً للشعب العراقي [17].

اقتصر موقف الشعب في بداية الامر على الترقب والانتظار لتنفيذ الوعود الكثيرة التي قطعتها بريطانيا للعرب عامة، والعراق خاصة، وكان العراقيون يأملون بعد انتهاء الحرب اقامة حكومة عربية مستقلة في العراق طبقاً للوعود البريطانية للشريف حسين، واستناداً لبيان الجنرال مود الذي اصدره بعد دخوله بغداد (19 آذار 1917) وزعم فيه بان الجيوش البريطانية لم تدخل مدن العراق واراضيه بصفة "قاهرين او اعداء بل بصفتهم محررين"، وزعم ايضاً" جئنا نحميكم من الظلم والغزو ونضمن حرية تجارتكم" واكد الجنرال وليم مارشال، الذي خلف الجنرال مود بعد وفاته في قيادة الجيش البريطاني نفس هذه المبادىء في اجتماعه مع اعيان بغداد يوم (11 تشرين الثاني 1918). وكررت بريطانيا وفرنسا المبادىء ذاتها في تصريحها المشترك الذي اعلن في (7 تشرين الثاني 1918) وجاء فيه:

"ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى من خوض غمار الحرب في الشرق...

هو تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريراً تاماً ونهائياً وتأسيس حكومات وادارة وطنية تستمد سلطاتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم، ولقد اجمعت فرنسا وانكلترا على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على اقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سورية والعراق المنطقتين اللتين اتم الحلفاء تحريرها، وعلى الاراضي التي مازالوا يجاهدون في تحريرها [19].

وتضمنت بنود الرئيس الامريكي ولسن، وبخاصة البند الثاني عشر، الدعوة الى اعطاء حق تقرير المصير للشعوب التي كانت خاضعة للامبراطورية العثمانية [20].

وخلافاً لكل تلك الوعود دأبت الادارة البريطانية على اقامة نظام احتلال استعماري اصبحت فيه السلطة المطلقة بأيدي القيادة العسكرية البريطانية، اما الادارة فكانت خاضعة لحكومة الهند البريطانية، وترأس هذه الادارة السير برسي كوكس - الموظف القديم في الخدمة االبريطانية الاستعمارية والمقيم البريطاني في الخليج العربي. وفي عام 1917 حل محله ارنولد ولسن A. T. Wilson.من غلاة الاستعماريين، وكان يرى ان يحكم العراق حكماً "مباشراً" وان يرتبط القسم الجنوبي منه. بحكومة الهند ارتباطاً مباشراً. اما الادارة المدنية في المحافظات (الالوية انذاك) فقد اصبحت بأيدي الضباط السياسيين البريطانيين، كما حل موظفون من الادارة الانكلو- هندية محل الموظفين الاتراك السابقين، واعيد تنسيق الادارة والقضاء على الطراز الهندي، وقصارى القول كانت بريطانيا تريد تحويل العراق فعلاً الى احد اقاليم الهند البريطانية [21].

وعمدت ادارة ولسن الى اجراء ماسمى بـ"الاستفتاء" لتزييف ارادة الشعب العراقي، وتأليف الحكومة التي تريدها بريطانيا باسمه، فخولت الحكومة البريطانية ارنولد ولسن في (30 تشرين الثاني 1918) بأجراء استفتاء عام يبين فيه الشعب رأيه في الامور الاتية:

1. هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بأرشاد بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج العربي؟
2. وفي هذه الحالة هل يرون أن عاهلاً "عربياً اسمياً" يجب ان ينصب في رأس هذه الدولة؟
3. واذا كان الامر كذلك، من الذي يفضلون تنصيبه للدولة[22]؟

وارفق ويلسن مع البيان تعليمات الى كل الحكام السياسيين في مناطق العراق المختلفة، بأن يبحثوا تلك النقاط بصورة سرية مع الشخصيات البارزة، اي مع الذين يتعاونون مع بريطانيا وبخاصة الشيوخ البارزين، فأذا كانت اراؤهم متطابقة مع رأي الادارة البريطانية يعقد مجلس يضم الوجهاء والشيوخ البارزين لعرض القضايا المشار اليها على الحاضرين.

اما اذا ظهر عكس ذلك فيجب تأجيل عقد الاجتماع وانتظار التعليمات المقتضية، واستناداً الى هذه التعليمات بدأ الحكام السياسيون في مناطق العراق المختلفة اجراء الاتصالات للحصول على اراء تطابق اراء ويلسن، فحصر ما سمى "الاستفتاء" بالمناطق العشائرية والمدن بالشيوخ والملاكين من الوجهاء المتعاونين مع بريطانيا لتكون النتيجة المطالبة بأستمرار بقاء الحكم البريطاني، كما خطط البريطانيون. اما في بغداد والمراكز الدينية فقد وجدت السلطات البريطانية صعوبة في الحصول على النتائج المرضية، وصدرت الفتاوى بأن كل شخص يرغب في حكومة غير عربية مسلمة يعد خارجاً عن الدين.

وكانت نتيجة الاستفتاء، كما رفعها ويلسن، وكيل الحاكم الملكي العام
الى الحكومة البريطانية، أن هناك رأياً عاماً شاملاً تقريباً يرى ان الموصل يجب ان
تبقى ضمن الدولة الجديدة، وهناك رغبة في استمرار الحكم البريطاني دون
اجراء تبدلات جوهرية فيه كما ان هناك من يطالب بتعيين السير برسي كوكس
على رأس الدولة الجديدة ولم يرفع الاراء التي طالبت بتأسيس حكومة عربية
يحكمها احد انجال الشريف حسين [23].

والحقيقة التي يجب ان تقال ان هذا الاستفتاء لم يكن يمثل رأي
الشعب العراقي المناهض للاحتلال، فقد اختير الاشخاص المتعاونيين مع
السلطات البريطانية لتوقيع المضابط والمذكرات، ولم يسمح بتسجيل الاراء
المعارضة لوجهة النظر البريطانية، الامر الذي حال دون الافصاح الحقيقي
عن رأي البلاد.

اما الشعب العراقي المعارض للاحتلال البريطاني والادارة الاستعمارية فقد
عمد الى تنظيم نفسه لمقاومة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال، فظهرت بعض
الجمعيات الوطنية وكانت اولى تلك الجمعيات "جمعية العهد العراقي" التي
تأسست سنة 1919 وكان لها فرع في الموصل وآخر في بغداد، وتضمن منهاجها
العمل لتحقيق الاهداف الاتية:

1. استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية.
2. طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا، على ان تكون هذه المساعدة بالثمن ولا تمس استقلال العراق التام.
3. انهاض الشعب العراقي ليباري ارقى الامم الغربية.
4. السعي لخير الامة العربية عامة [24].

واعلنت جمعية العهد عن رغبتها بأقامة دولة ملكية دستورية، يتقلد فيها العرش احد ابناء الشريف حسين، وكانت تفضل الامير عبد الله، كما اعلنت سعيها لتحقيق اتحاد الاقطار العربية تحت عرش الشريف حسين، ملك الحجاز، واتباع الوسائل السلمية والمفاوضات لتحقيق هذه الاهداف[25].

اما الجمعية الثانية فهي "جمعية حرس الاستقلال" التي تأسست في بغداد في نهاية شهر شباط [26] عام 1919 وتضمن منهاجها اموراً متعددة منها:

1. استقلال العراق استقلالاً تاماً.
2. تشكيل مملكة عراقية يسند فيها العرش الى احد انجال الملك حسين، على ان يكون ملكاً دستورياً ديمقراطياً.
3. العمل على ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية.
4. توحيد كلمة العراقيين، وبذل اقصى الجهود للقضاء على كل بواعث الافتراق في الدين والمذهب [27].

قامت جمعية حرس الاستقلال بنشاط واسع بين مختلف اوساط المواطنين مما جعلها تتمتع بمركز قوي، ولم يمض وقت طويل على تأسيسها حتى انضمت اليها منظمة سرية تدعى "جمعية الشبيبة العربية" كما نجحت في تأسيس خلايا عديدة لها في بغداد والشامية والنجف والحلة وبعقوبة وغيرها من مدن العراق[28].

حدث خلاف بين جمعيتي العهد العراقي وحرس الاستقلال، فقد انكرت جمعية حرس الاستقلال على جمعية العهد طلب المساعدة من بريطانيا، وطالبت بالغاء تلك الفقرة من برنامج العهد، لانها لاتتفق وامانى العراق في الاستقلال التام، وان بمقدور العراق المستقل طلب المساعدة من اية دولة كانت [29]، وقد بذلت الجهود للتقريب بين الجمعيتين وتوحيد الجهود الوطنية لمقاومة الاحتلال.

لقيت الحركة الوطنية المقاومة من سلطات الاحتلال التي عمدت الى
الشدة والعنف للوقوف بوجه الانتفاضات الشعبية التي شملت مناطق العراق
المختلفة خلال الفترة بين عامي 1918-1920. فقد انتفضت السليمانية وتلعفر
واربيل والمنتفك وسرعان ماتحولت هذه الانتفاضات الى ثورة شاملة ضد
المحتلين الاجانب.